The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Ecclesiastes 5-6:12	سِفْر الجامعة 5 :6 12
#645	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 645
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سنتابع بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِسِفْرِ الجامعة على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصحاح الخامس من سِفر الجامعة. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

وَالآنَ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ آخَرَ مِنْ سِفْرِ الجامعة دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

في الأصحاح الخامس من سفر الجامعة نجد الملك سليمان يقدم نصائح عملية، فيها يقدِّم لكل منا دوره العملي الذي يجب أن يسلك به. فنقرأ في العدد الأول:

اِحْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ فَالاِسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ ذَبِيحَةِ الْجُهَّالِ لأَنَّـهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِفَعْلِ الشَّرِّ.

يبدأ الملك سليمان بالتحذير من العبادة الشكليَّة الخالية من المضمون. ينبغي أن يتميّز المؤمن المسيحي بالشعور بالمهابة وهو في حضرة الله، وبالرغبة في الاستماع إلى الله والطاعة لوصاياه. إذًا، يجب أن نُصلِح سلوكنا من كل طريق شر قبل أن ندخل بيت الله. فدخول بيت الرب يتطلَّب نقاوة القلب وقداسته. لهذا لا نعجب إذا كان الجامعة يبدأ نصائحه للإنسان بالذهاب إلى بيت الله، وكأنه يقول "أُهرُب من العالم الزائل والباطل إلى الله بالدخول إلى بيته المقدس"، ولكن حتى تقابل الله في بيته عليك أولاً أن تحفظ قدمك من الشر.

"فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال." المقصود هنا أي لا تذهب لبيت الله للعبادة الشكلية ولكن بالحب تتعبد لله، بروح الطاعة الصادقة القلبية. إنَّ الجاهل ليس فقط يخطئ بل يخطئ ولا يبالي، فلا تُقبَل ذبيحته التي يقدمها.

ثم نقرأ في العدد الثاني:

لاَ تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلاَ يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلاَمٍ قُدَّامَ اللَّهِ. لأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الأَرْضِ فَلِذَلِكَ لِتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً.

هنا ينبِّهنا سليمان الحكيم أن لا نكرِّر كلمات كثيرة دون أن تكون صادرة من القلب، بل لننطق بعد أن نفكر في كل كلمة قبل أن نقولها، فالأفكار هي كلمات تنطق بها قلوبنا لله. ولا يعني قول سليمان هذا أن نقلل صلواتنا بل أن نصلي بالروح وبالذهن أيضًا. وقطعًا لا يقصد أن نصلي قليلاً فبولس الرسول يقول في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي "صلوا

بلا انقطاع، وكان المسيح يقضي الليل كله في الصلاة. ولكن المطلوب هنا أن لا تكن صلاتنا هي كثرة الكلام.

ننتقل إلى الأعداد 3 6:

لأَنَّ الْحُلْمَ يَأْتِي مِنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ وَقَوْلَ الْجَهْلِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَلاَمِ. إِذَا نَذَرْتَ نَذْراً لِلَّهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ. لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ. لاَ تَدَعْ فَمَكَ يَجْعَلُ جَسَدَكَ يُخْطِئُ. وَلاَ تَقُلْ قُدَّامَ الْمَلاَكِ: «إِنَّهُ سَهْوٌ». لِمَاذَا يَغْضَبُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِكَ وَيُفْسِدُ عَمَلَ يَدَيْكَ؟

ينكث الناس وعودهم ويستخدمون العبارات المقدّسة باستخفاف وبلا تدقيق. لكن المحافظة على النذور والوعود أمر هام لأنها تبني الثقة وتجعل العلاقات البشريّة الملتزمة أمرًا ممكنًا. فإذا نذرتَ، فاذكُر أنّ الكتاب المقدّس يستخدم عبارات قويّة ضد الاستخفاف بذلك. أمّا من حيث أن الحلم يكشف حقيقة الحالم، فإذا كان الحالم مراهقًا في ساعات اليقظة تتحول ارتباكات الحياة في ساعات اليقظة إلى خيالات وأوهام بلا تفكير أو ترتيب. هكذا أيضًا كثرة الكلام بلا فهمٍ ولا وعي لا بدَّ أن تقود الإنسان إلى كلمات جهل كثيرة. فليتنا نتعلّم التأنّي والتفكير في كل كلمة قبل أن ننطق بها أمام إلهنا وأمام الناس. هنا يُحذّر سليمان قُرّاءه من قطع عهود حمقاء. فقد كانت النذور تطوّعيّة، ولكن متى نَذَرَ الإنسان يُصبح ملتزمًا بالوفاء بما نذر. فمن الحماقة أن تنذر نذرًا لا تستطيع الوفاء به، أو أن تخادع الله بالتتميم الجزئي لنذرك.

ثم نقرأ في العددين 7 و8:

لأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ الأَحْلاَمِ وَالأَبَاطِيلِ وَكَثْرَةِ الْكَلاَمِ. وَلَكِنِ اخْشَ اللَّهَ. إِنْ رَأَيْتَ ظُلْمَ الْفَقِيرِ وَنَزْعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ فَلاَ تَرْتَعْ مِنَ الأَمْرِ لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِياً يُلاَحِظُ وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا.

إنَّ الظلم، عزيزي المستمع، هو مدرسة العدو الذي غرس طبيعته الساقطة في أبوينا الأوّلين في لحظة السقوط، ومنذ بدء التاريخ نرى ظلم قايين لشقيقه هابيل، وظلْم إخوة يوسف له، لذلك فإنّ رفْض الظلم هو عنصر أساسي في التوبة، أي بغضة مُطلَقة للظلم.

والطبيعة الجديدة التي تخلق في الانسان لا تحتمل ظلَّ الظلم، لذلك نرى زكّا إذ تقابل مع الربّ يسوع وأصبح في لحظة خليقة جديدة، في الحال يصرخ في إنجيل لوقا والأصحاح التاسع عشر: "إن كنت قد وشيت بأحد أردّ أربعة أضعاف".

أما الأعداد 9 12، فتقول:

وَمَنْفَعَةُ الأَرْضِ لِلْكُلِّ. الْمَلِكُ مَخْدُومٌ مِنَ الْحَقْلِ. مَنْ يُحِبُّ الْفِضَّةَ لاَ يَشْبَعُ مِنَ الْفِضَّةِ وَمَنْ يُحِبُّ الثَّرْوَةَ لاَ يَشْبَعُ مِنْ دَخْلٍ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ. إِذَا كَثُرَتِ الْخَيْرَاتُ كَثُرَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا وَأَيُّ مَنْفَعَةٍ لِصَاحِبِهَا إِلاَّ رُؤْيَتَهَا بِعَيْنَيْهِ؟ نَوْمُ الْمُشْتَغِلِ حُلْوٌ إِنْ أَكَلَ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً وَوَفْرُ الْغَنِيِّ لاَ يُرِيحُهُ حَتَّى يَنَامَ.

يتحدث هنا عن نتيجة وخيمة أخرى. فقد ينجح الإنسان في جَرْيه وراء الفضّة وتتكوّن لديه ثروة ضخمة، لكن هناك ما هو أكثر مرارة إذ سيكتشف ازدياد عدد الآكلين لهذه الثروة التي تعِب فيها وما هو إلاّ متفرِّج عليها.

إنه لشرٌّ عظيمٌ أن يظل الإنسان يصون ثروته ثم تصبح لِضررِه، أي لأحقاد الناس عليه وتدبيرهم شرور ضده، بالإضافة لطمع اللصوص في ثروته. كما أنَّ الإنسان قد يتسبَّب بالمرض بسبب همومه للحفاظ على ثروته ولزيادتها. هذا فضلاً عن خسارته الروحية وهلاك نفسه لانشغاله بالماديات عن الروحيات. ولنلاحظ أن المشكلة لا تكمن في المال والثروة إنما في الارتباك بهما والولع بالكسب والانشغال عن الله.

ننتقل إلى الأعداد 13 15:

يُوجَدُ شَرٌّ خَبِيثٌ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ: ثَرْوَةٌ مَصُونَةٌ لِصَاحِبِهَا لِضَرَرِهِ. فَهَلَكَتْ تِلْكَ الثَّرْوَةُ بِأَمْرٍ سَيِّئٍ ثُمَّ وَلَدَ ابْناً وَمَا بِيَدِهِ شَيْءٌ. كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَاناً يَرْجِعُ ذَاهِباً كَمَا جَاءَ وَلاَ يَأْخُذُ شَيْئاً مِنْ تَعَبِهِ فَيَذْهَبُ بِهِ فِي يَدِهِ.

ثروة ضارّة! يا للعجب! هذا هو تقرير الحكيم. فقد لاحظ سليمان أنّ الذين يحبّون المال ويسعون وراءه بِجَشع، لا يجدون أبدًا السعادة التي يبتغونها. فالثروة تسبّب الأرق والخوف وتُفضي أخيرًا إلى الخسارة لأنهم سيتركونها وراءَهم. فمهما كان ما تكسبه، فإنك إذا حاولت أن تخلق السعادة بتكديس الثروة، فلن تكتفي أبدًا. والمال في ذاته ليس خطأ، ولكن محبّة المال تؤدّي إلى كلّ أنواع الخطايا. فعلينا أن لا نتّكل على المال ليجعلنا سعداء، بل أن نستخدم مالنا للربّ.

ثم نقرأ في الأعداد 16 20:

وَهَذَا أَيْضاً مَصِيبَةٌ رَدِيئَةٌ. فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا جَاءَ هَكَذَا يَذْهَبُ فَأَيَّةُ مَنْفَعَةٍ لَهُ لِلَّذِي تَعِبَ لِلرِّيحِ؟ أَيْضاً يَأْكُلُ كُلَّ أَيَّامِهِ فِي الظَّلاَمِ وَيَغْتَمُّ كَثِيراً مَعَ حُزْنٍ وَغَيْظٍ. هُوَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا خَيْراً الَّذِي هُوَ حَسَنٌ: أَنْ يَأْكُلَ الإِنْسَانُ وَيَشْرَبَ وَيَرَى خَيْراً مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاتِهِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا لأَنَّهُ نَصِيبُهُ. أَيْضاً كُلُّ إِنْسَانٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ غِنًى وَمَالاً وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ وَيَأْخُذَ نَصِيبَهُ وَيَفْرَحَ بِتَعَبِهِ فَهَذَا هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لأَنَّهُ لاَ يَذْكُرُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ كَثِيراً لأَنَّ اللَّهَ مُلْهِيهِ بِفَرَحِ قَلْبِهِ.

إنّ الكنوز الأرضيّة محفوفة بالمخاطر وجالبة للمساوئ إذ هي تُنتِج القلق والألم حتى أنها قد تُنشئ خوفًا ويتركها المرء عند الوفاة. لكن الذين يعتبرون الله مصدرًا للغِنى ينعمون بالمسرّات والثروات وبالقدرة على التمتّع بها. وهنا نلاحظ أن سليمان يحرّض مرّة جديدة على التمتّع بغِنى الحياة الذي يعطيه الله. فعندما يدرِك المرء صلاح الله، يبتهج ولا يتوقّف طويلاً عند المصاعب والمتاعب.

وبهذا نكونَ قد وَصلنا، يا أحبَّائي، إلى نهاية الأصحاح الخامس مِنْ سِفر الجامعة. ونأتي الآنَ إلى الأصحَاحِ السادس مِنْ السِفر نفسه. فنقرأ في الأعداد السبعة الأولى:

يُوجَدُ شَرٌّ قَدْ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهُوَ كَثِيرٌ بَيْنَ النَّاسِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ غِنًى وَمَالاً وَكَرَامَةً وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عَوَزٌ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ وَلَمْ يُعْطِهِ اللهُ اسْتِطَاعَةً عَلَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ بَلْ يَأْكُلُهُ إِنْسَانٌ غَرِيبٌ. هَذَا بَاطِلٌ وَمُصِيبَةٌ رَدِيئَةٌ هُوَ. إِنْ وَلَدَ إِنْسَانٌ مِئَةً وَعَاشَ سِنِينَ كَثِيرَةً حَتَّى تَصِيرَ أَيَّامُ سِنِيهِ كَثِيرَةً وَلَمْ تَشْبَعْ نَفْسُهُ مِنَ الْخَيْرِ وَلَيْسَ لَهُ أَيْضاً دَفْنٌ فَأَقُولُ: «إِنَّ السِّقْطَ خَيْرٌ مِنْهُ». لأَنَّهُ فِي الْبَاطِلِ يَجِيءُ وَفِي الظَّلاَمِ يَذْهَبُ وَاسْمُهُ يُغَطَّى بِالظَّلاَمِ. وَأَيْضاً لَمْ يَرَ الشَّمْسَ وَلَمْ يَعْلَمْ. فَهَذَا لَهُ رَاحَةٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَاكَ. وَإِنْ عَاشَ أَلْفَ سَنَةٍ مُضَاعَفَةً وَلَمْ يَرَ خَيْراً أَلَيْسَ إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ يَذْهَبُ الْجَمِيعُ؟ كُلُّ تَعَبِ الإِنْسَانِ لِفَمِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّفْسُ لاَ تَمْتَلِئُ.

يشتمل هذا الأصحاح على ثلاث مآسٍ. الأولى هي غنى مع عدم القدرة على التمتّع به. والثانية هي شخصٌ عنده الكثير ونفسه لا تشبع. أما الثالثة فهي شخصٌ قلق على مستقبله. والخلاصة التي نستنتجها من هذا الأصحاح، ومن باقي سِفر الجامعة، أنه مهما عمل الإنسان ومهما تعب، ومهما حصل أو أنجز، فإنّ كلّ غناه لا يقدر أن يشبعه، بل شخصًا فوق جميع السماوات.

قال المرنّم في المزمور 39 والعدد الخامس: "**هُوَذَا جَعَلْتَ أَيَّامِي أَشْبَاراً وَعُمْرِي كَلاَ شَيْءَ قُدَّامَكَ. إِنَّمَا نَفْخَةً كُلُّ إِنْسَانٍ قَدْ جُعِلَ. إِنَّمَا كَخَيَالٍ يَتَمَشَّى الإِنْسَانُ. إِنَّمَا بَاطِلاً يَضِجُّونَ. يَذْخَرُ ذَخَائِرَ وَلاَ يَدْرِي مَنْ يَضُمُّهَا.**" ويؤكد اختبار سليمان هنا هذه الحقائق. فالإنسان وما يحيط به، هذا كلّه زائل. فكل هذا يوجد اليوم ولا يوجد غدًا؛ إنّما نفسه فقط هي التي تبقى إلى الأبد، والعجيب أنها أقلّ ما يتعب الإنسان لأجله. "كلّ تعب الإنسان لفمه، ومع ذلك فالنفس لا تمتلئ." فيا لها من صورة محزنة لفمٍ ممتلئ ونفسٍ خاوية!

ثم نقرأ في الأعداد 8 11:

لأَنَّهُ مَاذَا يَبْقَى لِلْحَكِيمِ أَكْثَرَ مِنَ الْجَاهِلِ. مَاذَا لِلْفَقِيرِ الْعَارِفِ السُّلُوكَ أَمَامَ الأَحْيَاءِ؟ رُؤْيَةُ الْعُيُونِ خَيْرٌ مِنْ شَهْوَةِ النَّفْسِ. هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ. الَّذِي كَانَ فَقَدْ دُعِيَ بِاسْمٍ

مُنْذُ زَمَانٍ وَهُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ إِنْسَانٌ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَاصِمَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ. لأَنَّهُ تُوجَدُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ تَزِيدُ الْبَاطِلَ. فَأَيُّ فَضْلٍ لِلإِنْسَانِ؟

بسقوط الإنسان أمست الرغبات الجسديّة هي المحرّك لكلّ تعبه. وشهوة الأكل هي واحدة منها. لكن التقرير الذي يملأ الكتاب المقدّس كلّه أنّ نفس الإنسان لا شبع لها. لذلك جاء تحذير الله لأحبّائه في إنجيل متّى، الأصحاح السادس والعدد 25: "لذلك أقول لكم لا تهتمّوا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللّباس".

أعزائي المستمعين، معروفٌ أن الإنسان ضعيف ومهما زادت ثروته فسيستمر إنسانا ضعيفا محدودا قابلا للموت في أي لحظة، وهذا دُعِيَ على الإنسان منذ الأزل، لا يستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه، أي يعجز الإنسان عن أن يقاوم ويخاصم الله القوي. وبالعادة، فالإنسان الذي يشتهي ولا يجد، يخاصم الله لأنه لم يعطِه، والله قسم لنا ما عندنا، فلنقبل ونكتفي ولا نخاصمه، حينئذٍ سنكتشف أنه أعطانا كفايتنا وأعطانا معها الشبع والاكتفاء والرضا. فأي فضل للإنسان من ثروته وملذاته وأمجاده العالمية!

نأتي أحبائي إلى نهاية الأصحاح السادس، ونختم دراستنا لليوم بقراءة العدد 12:

لأَنَّهُ مَنْ يَعْرِفُ مَا هُوَ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ مُدَّةَ أَيَّامِ حَيَاةِ بَاطِلِهِ الَّتِي يَقْضِيهَا كَالظِّلِّ؟ لأَنَّهُ مَنْ يُخْبِرُ الإِنْسَانَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟

يختم الجامعة بحثه بهذين السؤالين: مَن يعرف ما هو خير للإنسان في الحياة؟ مَن يخبر الإنسان بما يكون بعده تحت الشمس؟

وهكذا يختم الجامعة حديثه بالنتيجة النهائية أن ما يجمعه الإنسان لن يزيده سعادة، خاصة أن أيام حياته على الأرض مهما طالت فهي كالظل لذلك أسماها أيام حياة باطله التي يقضيها كالظل. وطالما لا نعرف ما هو لصالحنا علينا أن نسلم بأن كل الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبون الله، المدعوين حسب قصده، فلا نضطرب. فأحسن اختيار لحياتنا هو ما أعطاه الله لنا. نحن لا نعرف ماذا سيحدث في المستقبل لنا أو لعائلاتنا بعد موتنا، الكل في يد

الله وهو يدبر كل الأمور لخيرنا. وإذا كان لنا ثقة في الله وفي محبته وتدبيره سنحيا سعداء لا نحمل همًّا للغد.

ولا يوجد مرجع آمين وصادق إلاّ مستودع الحقّ الوحيد في العالم الذي هو كلمة الله. اسمع ما يقوله الكتاب المقدس في سِفر أيوب 22: 22: "تعرّف به الآن (أي صالِح نفسك معه)، واسلم (أي وكن في سلام). بذلك يأتيك خير.

ليت كل نفس تتعقل وتصرخ من الأعماق: "عرّفني يا رب نهايتي ومقدار أيامي فأعلم كيف أنا زائل"، مزمور 39: 4.

فالحياة فارغة بعيدًا عن المسيح. إنّها بلا معنى وكالظلّ. مَن يعلم ما يُخبّئه المستقبل؟ وحده الله يعلم. فبدل أن يتجادل المرء ويتخاصم مع الله لأنّ الأمور لا تسير كما هو يريد، هو بحاجة ليستسلم ويخضع لله ويطيعه لأنه يعرف ما هو لخيرنا أكثر منّا، حتى المرض والمعاناة والأحزان التي قد نعاني منها اليوم يجعلها الله تعمل معًا لخيرنا. سيأتي اليوم حيث نشكر الله على هذه الصعوبات التي نجتازها وحيث نرى كيف أنّ الله حوَّل جميع هذه الأمور التي لم يكن بمقدورنا أن نفهم كيف ولماذا تجري على ذاك النحو.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

سيكمل بمشيئة الله، الراعي "تشك سميث" دراسته عن سِفر الجامعة في الحلقة المقبلة. أما الآن، نترككم، أعِزَّاءَنا المستمعين، مع صلاة ختامية.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

أبانا السماوي،

نشكرك من أجل كلمتك التي هي سراج لأرجلنا ونور لسبيلنا. دعني بمعونة روحك القدوس أخبِّئ كلامك في قلبي كي لا أخطِئ إليك. إننا نرى البطل في الفراغ وعدم الجدوى

والحماقة بدونك في هذه الحياة تحت الشمس. فيا ليتك تعين مَن يسمعوننا الآن كيما يختبروا الحياة في شخص ربّنا يسوع المسيح، شمس البِرّ، يا مَن جعلت الأبدية في قلوب البشر. ليتك تحقّق لهم هذا وتجعلهم يختبرون الأبدية، الحياة الفضلى في المسيح يسوع ربّنا. باسمه نصلِّي يا أبانا، آمين.